مقدمة المؤلف

خصصنا كتابنا السابق للكلام على الحالة النفسية للشعوب والآن نبحث فى الحالة النفسية للجماعات

تتكون روح كل شعب من مجموع صفات وخلال تتولد فى افراده بالتوارث لكن اذا اجتمع عدد من اولئك الافراد للقيام بعمل من الاعمال تولدت عن اجتماعهم هذا أحوال نفسية جديدة ترتكز على أحوال الشعب وقد تختلف عنها فى كثير من الاوقات اختلافا كبيراً

كان للجماعات المنظمة على الدوام تأثير كبير فى حياة الامم الاّ ان هذا التأثير لم يبلغ فى زمن من الازمان مبلغه فى الزمن الحاضر فقد حلّ فى ايامنا هذه تأثير الجماعات على غير قصد منها محل تأثير الافراد المقصود لاربابه بالطبيعة واصبح من أخص صفات الحياة الحاضرة

وانى أحاول البحث فى موضوع الجماعات على صعوبته بالوسائل العلمية المحضة أعنى انى أريد ان اتبع فيه نسقاً مؤسسا على قواعد العلم غير ملتفت الى الآراء والنظريات والمذاهب الجارية مجرى الامور المسلم بها لأنى أرى أن ذلك هو الوسيلة الوحيدة لاقتناص بعض شوارد الحقيقة ولا سيما اذا كان الموضوع مما يشغل الافكار مثل موضوعنا فالعالم الذى يرمى ببحثه الى تقرير أمر من الامور لا يهتم بما عسى أن يصطدم مع هذا التقرير من المنافع والمصالح ـ قال عنى أحد كبار المفكرين وهو موسيو (جويليه دالفيالا) فى كتاب نشرناه حديثاً انى كثيراً ما خالفت فى نتائج ابحاثى ما اتفق عليه الباحثون من ارباب المذاهب العصرية لانى لست تابعاً لواحد منها وانى لأرجو ان يكون حظ كتابى هذا من تلك الملاحظة حظ سابقيه اذ الانضمام الى مذهب يقتضى التحيز اليه والتزام ما فيه من الأوهام

على انى أرى من الواجب ان أوضح للقراء السبب فى اننى استخلص من بحثى نتائج تخالف التى يظهر بادئ بدء انها نتائجه اللازمة كتقريرى مثلا انحطاط القوة المفكرة عند

الجماعات حتى التى تتألف من نوابغ أهل الفضل وذهابى مع ذلك الى انه من الخطر المساس بها أو العبث بنظامها

ذلك لأن اطالة التأمل فى حوادث التاريخ دلتنى دائما ان المجتمعات الانسانية عويصة التركيب كالأفراد سواء بسواء فليس فى يدنا ان نحولها فجأة من حال الى حال نعم يتفق ان تحدث الطبيعة تغييراً كلياً فجائيا الاّ ان ذلك لا يكون تابعا لارادتنا أبداً لذلك كان حب بعضهم للاصلاحات الكلية من اسوأ المؤثرات فى الامم مهما دلّ النظر على حسنها لانها لا تكون مفيدة الاّ اذا كان فى الامكان تغيير روح الامة تغييراً فجائياً والزمان وحده هو صاحب هذا السلطان والذى يحكم الناس مجتمعين انما هى الافكار والمشاعر والعادات وكلها أمور موجودة فينا وحينئذ ليست القوانين والنظامات الا صورة من صور النفس العامة التى لنا وممثلة حاجاتها واذا كانت القوانين والنظامات صادرة عن النفس فهى لن تستطيع تغييرها

واعلم انه لا يجوز فصل البحث فى الأحوال الاجتماعية عن البحث فى الامم التى ظهرت تلك الأحوال فيها لأنه ان

صح نظراً ان لهذه الأحوال قيمة مطلقة فمن المحقق ان قيمتها عملا نسبية دائما

لذلك ينبغى عند البحث فى حال من أحوال الاجتماع ان ينظر اليها من جهتين مختلفتين تماماً وحينئذ ينجلى للباحث ان تعاليم النظر المحض تخالف غالباً تعاليم النظر العملى وليس من النتائج حتى نتائج الابحاث الطبيعية ما يشذ عن هذه القاعدة الأيسيراً انظر الى مكعب او دائرة تجدها من حيث الحقيقة المطلقة صوراً حسابية ثابتة لها صيغ تضبطها ضبطاً دقيقاً لكنها قد تحضر امام العين بصور مختلفة فقد ترى المكعب هرماً او مربعاً وقد ترى الدائرة قطعاً ناقصاً أو خطاً مستقيما ويجب الاهتمام بهذه الصور الصورية اكثر من الاهتمام بتلك الصور الحقيقية لانها هى التى تتراءى امامنا وهى التى يمكن للرسم أو لآلة التصوير ان تنقلها لنا ومن هنا جاز القول بأن الصورى حقيق اكثر من الحقيق فى بعض الاحوال لان تشخيص الاشكال الهندسية بصورها الحسابية المنضبطة عبارة عن تشويه طبيعتها وجعلها تخفى على الناظرين فلو فرضنا عالماً لا يسعهم الا رسم الاشياء او نقلها بآلة التصوير من دون

ان يتمكنوا من لمسها لتعسر عليهم استحضار صورتها الحقيقية في أذهانهم على ان معرفة تلك الصورة الحقيقية من العدد القليل أعني العلماء لا يفيد الاّ فائدة صغيرة جدا

اذن وجب على الحكيم الذي يبحث في الاحوال الاجتماعية ان لا يغفل عما لهذه الاحوال من القيمة العملية بجانب قيمتها العلمية وان الاولى هي التي لها شيء من الاهمية في تطور المدنيات وملاحظة ذلك تقتضي الحيطة والحذر من الوقوف عند ما قد يسوق اليه الاستنتاج المنطقي بادئ بدء

وهنالك أسباب اخرى تدعو الى هذا الحذر منها ان الاحوال الاجتماعية عويصة مشتبكة يتعذر على الباحث ان يحيط بها كلها وأن يتعرف مالها من التأثير وما بينها من التفاعل ومنها أن وراء الحوادث الظاهرة مؤثرات خافية كثيرة جداً اذ يظهر ان الأولى ليست الا نتيجة عمل عظيم يقع على غير علم منا وهو في الغالب فوق بحثنا فمثل الحوادث الظاهرة مثل الأمواج المتلاطمة التي تترجم فوق سطح البحر عما هو واقع في جوفه من الاضطرابات التي خفيت عنا ونحن اذا نظرنا الى الجماعات نراها تأتي من الاعمال بما يدل على انحطاط

مداركها انحطاطاً كلياً غير ان لها أعمالاً أخرى يظهر انها منقادة فيها بقوة خفية سماها الاقدمون قدراً او طبيعة او يداً صمدانية وسماها أهل هذا الزمان (صوت من فى القبور) وعلى كل حال لا يسعنا ان ننكر ما لها من القوة وان جهلنا كنهها وكثيراً مايظهر ان فى باطن الامم قوى كامنة ترشدها وتهديها انك لاتجد شيئاً اكثر تعقيداً ولا أدق ترتيباً واجمل خلقاً من اللغة وما مصدر هذا الشئ الغريب فى نظامه العجيب فى أسلوبه الا روح الجماعات تلك الروح اللاشاعرة وأعلم المجامع العلمية وأرقى النحويين انما يجهدون النفس فى تدوين قواعد اللغات وهم لاشك عاجزون عن خلقها كذلك لسنا على يقين من ان الافكار السامية التى يحدثها النابغون من فطاحل القوم انما هى عملهم خاصة نعم هم الذين أوجدوها ولكن لا ينبغى أن ننسى ان ذرات التراب التى تراكمت فصارت منبتاً لتلك الافكار انما كونتها روح الجماعات التى وجد اولئك النابغون فيها

تتجرد الجماعات دائماً عن الشعور بعملها وقد يكون هذا هو السر فى قوتها على انا نشاهد فى الطبيعة ان الذوات الخاضعة

لمجرد الالهام تأتى بأعمال دقيقة يحار الانسان فى معرفة جليل صنعها ذلك ان العقل جديد فى الوجود الانسانى وفيه نقص كبير فلا قدرة لنا به على معرفة قوانين الافعال اللاشعورية فما بالك ان حاولنا وضع غيرها فى مكانها ان نصيب اللاشعور فى جميع أعمال الانسان عظيم وافر ونصيب العقل فيها صغير للغاية والأول يعمل ويؤثر كقوة لا تزال معرفتها غائبة عنا

وعليه اذا أردنا أن نقف عند الحدود الضيقة المأمونة فى معرفة الاشياء من طريق العقل ولا نهيم فى أودية التخمينات المبهمة والفرضيات العقيمة لزمنا أن نقتصر على تقرير الحوادث التى تقع تحت حواسنا وكل استنتاج مبنى على هذه المشاهدات بعد ذلك يكون تسرعاً فى غالب الاحيان لانه يوجد خلف الحوادث التى نراها جيداً حوادث لا نراها الا رؤيا ناقصة وقد يكون وراء هذه غيرها مما لا نراه أصلا

تمهيد

زمن الجموع

تطور أهل الوقت الحالى ـ فى ان تغييرات المدنية العظيمة نتيجة أفكار الامم ـ اعتقاد أهل هذا العصر بقوة الجماعات ـ فى ان هذا الاعتقاد يحول الدول عن سياستها التقليدية ـ كيف تسود سلطة طبقات الأمة وكيف تجرى تلك السلطة ـ النتيجة اللازمة لسلطة الجماعات ـ فى أن الجماعات لا تستطيع الا الهدم ـ فى انها هى التى تجهز على المدنية التى وهن بناؤها ـ فى الجهل العام بأحوال الجماعات النفسية ـ أهمية الوقوف على تلك الاحوال عند الشارع والسياسى

يخال الناظر فى احوال هذا الكون ان الانقلابات العظيمة التى تتقدم تطور المدنية فى الأمم مثل سقوط الدولة الرومانية وقيام الدولة العربية ناشئة عن تطور سياسى عظيم كاغارة الأمم بعضها على بعض أو سقوط الأسر الحاكمة وهكذا لكن بعد انعام النظر فى هذه الحوادث يتبين ان وراء

اسبابها الظاهرة فى الغالب سبباً حقيقياً هو التغير الكلى فى افكار تلك الأمم فليست التقلبات السياسية الحقيقية الكبرى هى التى تدهش الباحثين بعظمها وعنفها وانما الانقلاب الصحيح الجدير بالاعتبار الذى يؤدى الى تغيير حال الامم المدنية يحصل فى الافكار والتصورات والمعتقدات والحوادث العظيمة الخالدة فى بطون التواريخ ليست الا آثاراً ظاهرة لتغير خفى فى افكار الناس واذا كانت تلك الانقلابات العظيمة نادرة الحدوث فذلك راجع الى ان اشد اخلاق الأمم رسوخا عندها هو التراث الفكرى الذى ورثته عن آبائها

واحرج الازمان فى تطور الفكر الانسانى زماننا هذا ولهذا التطور عاملان اصليان

الاول تهدم المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية التى تتكون منها عناصر المدنية الحاضرة

والثانى قيام احوال جديدة ونشوء افكار جديدة فى الحياة تولدت كلها من الاكتشافات العصرية العلمية والصناعية

ولما كان تهدم الافكار القديمة لم يتم فلم تزل قوتها وكانت

الافكار التى ستحل محلها في دور تكونها كان الزمن الحاضر زمن تحول وفوضى

ومن المتعسر ان نتكهن بما قد يتولد يوماً من الايام من هذا الوقت المشوش كما اننا لا نعرف حتى الآن على أى الافكار الاساسية والمبادئ الاولية يقوم بناء الامم التى تخلفنا ولكن الذى نراه منذ الساعة انه سيكون امام تلك الامم قوة عظيمة لا بد لها من الاعتداد بها لانها اكبر قوة وجدت أريد بها قوة الجماعات تلك القوة التى قامت حتى الآن وحدها على أطلال الافكار البالية التى كان الناس يعتقدونها حقائق وماتت وعاشت بعد ان حطمت الثورات المختلفة كل سلطة كانت تتحكم فى الناس وهى القوة التى يظهر لنا أن مصيرها ابتلاع ما عداها فى القريب العاجل ألا ترى ان معتقداتنا القديمة أخذت تهتز من وهن آساسها وان اساطين المجتمعات القديمة تتداعى وتتحطم وان سلطة الجماعات هى وحدها التى لا يهددها طارئ بل هى تعظم وتنمو وعليه فالدور الذى نحن قادمون عليه هو دور الجماعات لا محالة

كان المؤثر فى الحوادث التاريخية منذ قرن واحد هو السياسة

التقليدية للدول ومنازعات ملوكها ولم يكن لرأى الجموع وزن يذكر بل لم يكن له قيمة أصلا فى الغالب ـ أما الآن فالسياسة التقليدية هى التى أصبحت لا وزن لها ولا أثر للمنازعات الشخصية بين الملوك بل صارت الغلبة لصوت الجماعات فهو الذى يرسم للملوك خطتهم وهو الذى يجتهد الملوك فى الاصغاء اليه وأمسى مصير الامم راجعا الى ما تحمله روح تلك الجماعات لا الى ما يراه أصحاب مشورة الامراء

فجلوس طبقات الامم على عرش السياسة أعنى تطور تلك الطبقات حتى صارت قادة لدولها هو من أخص مميزات زمن التحول الذى نحن فيه وليس حق الانتخاب العام هو الدليل الصحيح على هـذا التطور لان هذا الحق بقى ضعيف الاثر زمنا طويلا وكان فى مبـدإ أمره سهل القياد وانما تولدت سلطة الجمـاعات رويداً رويداً بانتشار بعض الافكار التى رسخت فى الاذهان أولا وبتدرج الافراد فى تكوين الجماعات للوصول الى تحقيق تلك النظريات ثانيـا فالاجتماع هو الذى ولد فى الجماعات قوة ادراك منافعها ومع كونه ليس ادراكا تاماً فهو ثابت متين والاجتماع هو الذى جعلها تشعر

بما لها من القوة والسلطان وهذا أصل تأسيس الجمعيات (السنديكات) التى تخضع امامها السلطات واحدة بعد الأخرى وغرف التجارة (البورصات) التى تطمح الى السيطرة على العمل وأجور العمال وان خالفت فى حكمها قواعد الاقتصاد وأصول تدبير الثروة العامة

والجماعات هى التى تبعث اليوم الى المجالس النيابية لدى الحكومة بوكلاء تجردهم من كل حركة شخصية وكل استقلال فلا يكون لهم من الرأى الا ما رأته اللجان التى انتخبتهم

أخذت طلبات الجماعات الآن تترقى فى مراتب الوضوح وهى لا ترمى الى أقل من قلب الهيئة الاجتماعية الحاضرة رأساً على عقب لترجع بها الى حالة الاشتراك الأولى التى كانت عليها العشائر قبل بزوغ شمس المدنية ـ تطلب الجماعات تحديد ساعات العمل ونزع ملكية المعادن والسكك الحديدية والمعامل والمصانع والاطيان وتطلب توزيع الثمرات بين جميع الناس على السواء واحلال الطبقات الرضيعة محل الطبقات الرفيعة وغير ذلك

الجماعات أقدر على العمل منها على التفكير وقد أصبحت

بنظامها الحاضر ذات قوة كبرى وعما قريب يكون للمذاهب التي نراها اليوم في دور التكون من السلطان العظيم على الافكار ما للمذاهب التي رسخت أصولها في الاعتقادات أعني سلطانا مستبدا لا تأثير فوق تأثيره فلا تعود تحتمل البحث أو الجدال وحينئذ يقوم حق الجماعات المقدس مقام حق الملوك الاقدسين

ولقد استولى الهلع على قلوب الكتاب الذين لهم منزلة لدى الطبقات الوسطى في الامم وهم الذين يمثلون اكثر من غيرهم افكارها الضيقة ونظرها القصير ويأسها غير المبني على التأمل الصحيح وحب الذات البالغ غايته فخشوا عاقبة ذلك السلطان الجديد الذي اخذ ينمو ويعظم ومالوا الى مقاومة ما استحوذ على الافكار من الاضطراب فولوا وجوههم قبل الكنيسة مستصرخين بسلطانها الادبي وتأثيرها الروحي بعد ان بالغوا في احتقارها وغالوا في اهمال جانبها ونادوا بافلاس العلم في طريق تهذيب النفوس فهم يرجعون من روما تائبين منيبين يدعوننا الى الرجوع للتمسك بحقائق الوحي والتنزيل وفات اولئك المتدينين من جديد ان الوقت قد

فات — واذا صح ان الفيض الالهى اخـذ من نفوسهم فانه لن ينال من نفوس جماعات لا تعتد كثيراً بما يقلق ضمائر اولئك الزهاد فلم تعد ترغب فى الأرباب التى رغبوا هم عنها بالامس وكان لهم نصيب فى تحطيمها وليس فى طاقة البشر ولا مما تتعلق به القدرة الالهيـة جعل مياه الانهار تصب فى ينابيعها

ما أفلس العلم ولا ذنب له فى فوضى الافكار التى انتشرت فى هذا الزمان ولا فى سلطة الجماعات التى تنمو وسط تلك الفوضى انما العلم وعدنا كشف الحقيقة او على الاقل بيان النسب التى تربط الامور بعضها ببعض مما نقدر على ادراكه لكنه ما وعدنا السلام ولا السعادة ابداً والعلم جماد بالنسبة لمشاعرنا واصم لا يصل اليـه صراخنا وانما نحن الذين يجب عليهم ان يحملوا انفسهم على الاتفاق معه اذ لا شئ يقدر ان يعيد لنا تلك الاوهام التى فرّت امام نوره

توجد علامات عامة ظاهرة فى جميع الامم تدل على سرعة نمو سلطان الجماعات نمواً لا رجاء فى وقوفه آجلا ونحن خاضعون لحكمه حاملون كل ما أنتج بالقهر عنا فكل قول

فيه باطل لا فائدة منه ومن الجائز ان تولى الجماعات قياد الامم يكون خاتمة ادوار مدنية الغرب فيرجع الى الانغماس فى اودية الفوضى التى يخال انه لا بدّ لكل امة من اجتيازها قبل الوصول الى دور الحضارة والرقى ولكن اين السبيل الى منع ما هو كائن

ينحصر الاثر الواضح لعمل الجماعات حتى الآن فى هدم صروح المدنية فالتاريخ يدلنا على انه كلما وهنت القوى الادبية التى يقوم عليها بناء تقدم أمة من الامم كانت خاتمة الانحلال على يد تلك الجماعات الوحشية اللاشعورية التى سميت بحق متبربرة اما الذين أقاموا صروح المدنية وشيدوا أركان الحضارة فهم نفر امتازوا بسمو المدارك وبعد النظر ولكنا لم نر حتى الآن للجماعات أثراً مثل هذا فهى انما تقدر على الهدم والتحطيم وزمان حكمها زمان بربرية على الدوام لان المدنية لا تقوم الا على مبادئ مقررة ونظام ثابت وانتقال من العمل بمقتضى الغريزة الى الاهتداء بنور العقل والبصر بالمستقبل ومرتبة راقية من العلم والتهذيب وتلك وسائل برهنت الجماعات على انها غير اهل لتحقيقها اذا تركت وشأنها ـ ومثل الجماعات فى

قوتها الهـادمة مثل المكروبات التى تعجل بانحلال الاجسام الضعيفة وتساعد على تحلل الاجساد الميتـة فاذا نخرت عظام مدنيـة تولت الجماعات نقض بنائهـا هنالك يظهر شـأنها الأول ويخيل لنا بادئ بدىء أن العامل فى حوادث التاريخ هو كثرة العدد

انا لنخشى ان يكون هذا أيضاً مصير مدنيتنا لكن ذلك الذى لا نعرف منه شيئاً حتى الآن

وكيفما كان الحال فلا مندوحة لنا عن الخضوع لحكم الجماعات لأن ايدياً طائشة أزالت بالتدريج جميع الحواجز التى كانت تمنع من طغيانها

كثر الكلام على الجماعات ونحن لا نعرف من حالها الاّ يسيراً لأن المشتغلين بعلوم النفس عاشوا بمعزل عنهـا فجهلوا أمرها على الدوام وانما اشتغلوا بها فى الأيام الاخيرة من جهة ماقد ترتكب من الجرائم والآثام نعم توجد جماعات شريرة الاّ ان هناك ايضاً جماعات فاضلة وجماعات ذات شجاعة وهكذا فالنظر اليها من حيث الشر وحده نظر للشىء من جهة واحدة ولا يتوصل الباحث لمعرفة ادراك الجماعات ببحثه فى الجرائم

التى قد تصدر عنها كما انه لا يتوصل الى معرفة ادراك الفرد بالبحث فى عيوبه خاصة

ومع ذلك فان الذين سادوا على العالم وساسوا الأمم والممالك ممن شرعوا الاديان واسسوا الدول ورسل المذاهب كلها واقطاب السياسة حتى رؤساء العشائر الصغيرة كانوا دائما من علماء النفس وهم لا يشعرون فكانوا يعرفون روح الجماعات معرفة فطرية وكانت تلك المعرفة صادقة فى اغلب الاحايين ومعرفتهم لذلك جيدا هى التى مكنتهم من السيادة عليها كان نابليون واسع الخبرة باحوال الجماعات النفسية فى البلاد التى انبسطت يده عليها ولكنه جهل غالبا روح الجماعات فى شعوب اخر كذلك كان شأن اكبر مستشاريه فانهم ايضا لم يفقهوا حقيقة حال الجماعات الاجنبية عن امتهم فقد كتب له (تايلران) ان اسبانيا تلاقى جيوشه لقاء المنجدين فلما زحفت اليهم استقبلتهم كما تستقبل الوحوش الكاسرة ولو انه كان على شئ من العلم بما ورثت تلك الأمة من الأميال لسهل عليه معرفة هذا الاستقبال . ذلك هو السبب فى ان نابليون قام فى بلاد الاسبان وفى بلاد الروسيا على الاخص

بحروب كانت عاقبتها التعجيل بسقوطه

معرفة روح الجماعات اصبحت اليوم اخر ملجأ يأوى اليه السياسى العظيم لا لاجل ان يحكمها فقد صار ذلك الآن صعباً كثيراً بل ليخفف عنه شدة تأثيرها

واذا اردنا ان نعرف ضعف تأثير القوانين والنظامات فى الجماعات فانما السبيل الى ذلك تدقيق البحث لمعرفة روحها والوقوف على احوالها النفسية وبذلك نفقه ايضاً انه لاقدرة لها على تكوين رأى او التفكير فى شئ خارج عن الدائرة التى رسمت لها وانها لاتقاد بقواعد العدل النظرية بل بالبحث عما من شأنه التأثير فيها واختلابها فلو اراد وازع فرض ضريبة جديدة وجب عليه ان لايختار التى هى اقرب للعدل من حيث قواعد الاقتصاد فى ذاتها فربما كان أبعدها عن العدل اكثرها قبولا بالفعل عند الناس فان كانت هذه الاخيرة ايضاً اقل وضوحاً وأخف حملا فى الظاهر كان ذلك ادعى الى قبولها لهذا كانت الضريبة المقررة مقبولة لدى الجمهور كيفما كانت باهظة لانهم يؤدونها تدريجاً على اقسام صغيرة عند شراء حاجاتهم اليومية فهى لاتضيق عليهم فيما الفوه ولا تؤثر فيهم لذلك تأثيراً غير

محمود فاذا بدلت هـذه الضريبة بضريبة الايراد او الاجور بحيث يدفعونها مرة واحدة علت اصوات الشكوى من كل جانب ولو كانت هـذه الضريبة اخف من تلك عشر مرات ذلك لان مبلغا ذا قيمة ظاهرة حل محل فلس يدفع بالتدريج يوما بعد يوم ووجب اداؤه دفعة واحدة وفى ذلك من موجبات الضجر مالا يخفى ولو انهم اقتصدوه درهما الى درهم لبان لهم ضعفه وما شعروا بثقله لكن هذه وسيلة اقتصادية تقتضى شيئا من التبصر وذلك مالا تقدر الجماعات عليه

المثال الذى قدمناه من اسهل الامثال ومعرفة صحته ميسورة للكافة وهو لم يغب عن متفرس مثل نابليون لكن المشرعين الذين جهلوا حياة الجماعات لا يدركونه لان التجارب لما تعلمهم ان الناس لا يسيرون ابداً على مقتضى قواعد العقل وحده

ومن السهل الاكثار من الامثلة التى ينطبق عليها علم روح الاجتماع فمعرفة ذلك العلم توضح وضوحاً تاماً عدداً كبيراً من الحوادث التاريخية والاجتماعية يستحيل ادراك حقيقتها بدونه وسأبين فى حينه ان السبب فى كون اكبر

مؤرخى الأعصر الحاضرة واعنى به المسيو (تاين) لم يفقه تماماً بعض حوادث الثورة الفرنسية انما هو لأنه لم يشتغل بالبحث فى روح الجماعات بل استرشد فى الكلام على هذا القسم العويص من التاريخ بطريقة الطبيعيين التى هى تصوير الحوادث ووضعها غير ان القوى الادبية ليست مندرجة فيما يبحث فيه الطبيعيون الاَّ شذوذاً مع ان تلك القوى هى التى تقوم عليها دعائم التاريخ

معرفة احوال الجماعات النفسية ضرورية سواء اردنا من ذلك جانبها العملى او الرغبة فى مجرد الوقوف على ماهو كائن فمن المفيد استكناه اسباب الافعال التى تصدر عن الانسان كما انه من المفيد معرفة حقيقة المعدن او الغراس

سيكون كلامنا فى روح الاجتماع موجزاً بمعنى انه سيكون تلخيصاً لمباحثنا فلا يطلبن القارئ منه الاَّ بعض افكار ترشد الى غيرها ولغيرنا ان يوغل فى الموضوع اما نحن فانما نخططه على أرض لاتزال عذراء[1]

---

(١) قلت ان القليل من العلماء الذين بحثوا فى علم روح الجماعات قصروا بحثهم على الجهة الجنائية منها اما انا فلم اخصص هذه الجهة الا

فصلا صغيراً من هذا الكتاب لذلك ارجع القراء الى مباحث موسيو (تارد) ورسالة موسيو (سيجيل) التى سماها (الجماعات المجارمة) وتشتمل تلك الرسالة بجانب مباحث مؤلفها الخاصة به على ذكر مشاهدات جمعها من مؤلفات غيره مما تفيد مطالعته علماء روح الاجتماع على ان ما استخلصته أنا من حيث قوى الجماعات العقلية وقابليتها للشر والجريمة تخالف ما ذهب اليه هذان العالمان على خط مستقيم

وسأنشر عما قريب كتاباً أتكلم فيه على روح الاشتراكية وهنالك تتبين اهمية الكثير من قواعد روح الجماعات على ان تلك القواعد تنطبق على موضوعات اخر تخالف الموضوع الذى نحن بصدده

ومن تلك التطبيقات ماشاهده موسيو (جيفيرت) مدير المتحف الموسيقى بمدينة بروكسل فى رسالة كتبها على الموسيقى وسماها اسماً جديراً بمسماه وهو (فن الجماعات) وبعث الى بنسخة منها مع كتاب يقول فيه — ان كتابيك هما اللذان ساعداني على مسألة كنت أرى قبل الآن حلها مستحيلا وهى قابلية الجماعات قابلية عجيبة لذوق قطعة موسيقية اذا قام بتمثيلها منفذون يقودهم رئيس ذو حماسة قوية سواء كانت تلك القطعة جديدة او قديمة وطنية او اجنبية بسيطة او مركبة وقد ذكر موسيو جيفيرت فى رسالته ان القطعة الموسيقية قد لايذوقها اشهر الموسيقيين الذين يطالعونها بسكينة فى كسر بيتهم ويدركها لاول وهلة سامعون ليس لهم أدنى الملم بقواعد الفن واصوله